تسجيلات مايو سلمتها المخابرات الأمريكية لمروان ومنه للسادات!

مجلة أكتوبر: 4-10-92

بقلم: محمد جلال كشك

للحديث عن أكتوبر لابد أن تبدأ من مايو وآخر سر يذاع عن مايو 1971 هو ما ورد فى كتاب (الخسوف) للصحفى الأمريكى (مارك بيرى) الذى يقدم لنا معلومات جديدة عن مؤامرة مراكز القوى .. أو مؤامرة السادات على مراكز القوى .. أهديها للناصريين فى ذكرى أكتوبر لعلها تخفف بعض أحزانهم .

الكتاب يقول أن أشرطة التسجيل المشهورة التى وضعها أشرف مروان على مكتب الرئيس أنور السادات والتى سجلت مؤامرة مراكز القوى . لم يتقدم بها مواطن بسيط يعمل فى الداخلية أو المخابرات المصرية أو مصلحة التليفونات – كما قيل لنا – ولا حتى كانت من جهود أشرف مروان. بل سلمها له (توماس تويتن) الذى عين مديراً لمحطة المخابرات الأمريكية (CIA سى أى أيه) فى القاهرة فى أواخر عهد عبد الناصر، عندما بدأ أن مصر قد دخلت إلى الأبد فى المدار السوفيتى تحت تأثير الهزيمة والحاجة للسلاح والعجز عن سداد القروض، حتى فقد عبد الناصر القدرة على الحركة ، بل استطاع الروس أن يفرضوا عليه إعادة على صبرى بعد أن دير له حادثة الجمارك، وكانت أجهزة الأمن كلها خاضعة أو قل نصب فى مكتب سامى شرف . الذى تجمع كل الأطراف على أنه كان عميلاً للكى جئ بى .. أى المخابرات الروسية. ويزعم مؤلف الكتاب أنه يعد موت عبد الناصر قرر رجل السى أى أيه بالقاهرة ، أن يحترق الحكومة المصرية، وكان أبرز مرشح لتجنيده هو أشرف مروان الذى كان قد اثبت توافر عناصر مشجعة فى شخصيته . لهذا الأخبار يعرف منها المصريون الكثير ، ولكن المؤلف الأمريكى أكتفى بكراهية أشرف (بك) للسوفيت وأعوانهم فى مصر وبالذات سامى شرف . وبالإضافة لكراهية روسياً تميز أشرف مروان كما نقول مصادر الكتاب يحب وإعجاب شديدين للولايات المتحدة فكأنه جمع المجد من أطرافه . وتفهم من الكتاب أن (المحاولة نجحت وأن هذا النجاح أذهل واشنطن وأعتبر معجزة وبل تأثر

كبار المسئولين فى مقر المخابرات الأمريكية فى لانجلى من عداء أشرف مروان وللاتحاد السوفيتى.. إلى حد أنهم بدءوا يفكرون فى أن يكون هو الأداء لإخراج مصر من المدار السوفيتى . وقد صدق حسهم !! ولم يقل المؤلف : يحط سره فى أضعف خلقه ، ولذلك أضفتها أنا!.

فى مايو 1971 – والكلام للمؤلف الأمريكى – تلقى تويتن إشارة عاجلة من لا تجلى تحذر من انقلاب تديره الكى جئ سى يبدأ باغتيال السادات .. وسينفذه كبار المسئولين فى حكومته من أعوان الكى جئ بى .. أو ينص كلمات المؤلف ، الذين يقبضون من المخابرات الروسية ، وبالذات سامى شرف وعلى صبرى ، وكان أهم مصدر فى هذه المعلومات ويعتبر مصدر ثقة . هو تقرير أمن ضابط فى المخابرات الروسية يعمل كدبلوماسى فى الكويت وسبق له العمل فى مصر وهو فلاديمير نيقولا فيتش سخاروف . والذى جندته المخابرات الأمريكية منذ الستينات .

أبلغ سخاروف هذا بالانقلاب ، وأكدته معلومات شبكة المخابرات الأمريكية المتغلغلة فى القاهرة. كما أمكن الحصول على تسجيلات تليفونية للمتآمرين . وهنا ننتقل إلى لقطة من الفيلم المنتظر، حيث حمل تويتن المستندات وذهب للقاء أشرف مروان ، ولكنه أضطر إلى اللف والدوران ثلاث ساعات حتى تخلص من رقابة المخابرات المصرية الكى جى بى .. إلخ . وفى النهاية التقى مع من يسميه (الوصلة) واستطاع أن يشرح للوصلة تفاصيل المؤامرة وخلال أيام من اتصال تويتن بـ (الوصلة) كان السادات قد حطم ظهر الانقلاب . أما الأدلة التى قدمها تويتن ووضعها أشرف مروان على مكتب السادات يوم 11 مايو ، فكانت أشرطه التسجيلات لمحادثات المتآمرين ويكمل المؤلف أن تويتن (أصبح بطل مصر . وسارعت الولايات المتحدة للعمل على إخراج مصر من الفلك السوفيتى إلى حد استدعاء كمال أدهم للضغط على مروان لإقناع السادات بالخروج من قبضة السوفيت".

بقية القصة نحن نظن أننا نعرفها ، بعد غض البصر عن حواديت هيكل عن بنت السادات التى جاءته بالليل بالشبشب والخمار الأسود تهتف به : بابا ماسك عصايته ولا بس جلابيته المخططة بتاعة عمى عصمت وبيقولك تعالى علشان تقبضوا سوا على وزير الدفاع والداخلية ومدير المخابرات .. إلى آخر الهذر الذى روجوه عشرين سنة والذين يذكرنى بنكتة أخرى ظل السادات يرويها عشر سنوات عن سرقة خزانة عبد

الناصر) وأن اللصوص لم يسرقوا منها إلا أدلة تزوير انتخابات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى !! وأظن أن هذه الرواية هى التى تسببت فى إجرائى عمليتين للفتاق . إذا كلما كنت أسمعها أو تذكرها أضحك حتى أتمزق ! ولا شك أن خزانة عبد الناصر قد فتحت وأخذ . منها مجوهرات قدرت بالملايين بأسعار السبعينات وأرقام حسابات سرية وأهم من ذلك وثائق أو مستمسكات على بعض كبار أعوانه، وقد هدد السادات الذى فتحت الخزانة من خلف ظهره وأرعد ، فلما تمت التسوية وكان عليه أن يكلفت الموضوع ويقول ماذا سرق من الخزنة .. لم يسعفه خياله الفلاحى إلا بحكاية تزوير الانتخابات.

السادات لم يكن بحاجة لأى ضغط لكى يرحب بالخروج من قضية السوفيت والتعلق بالأمريكان . فالسادات لم يكن غبياً ولا عميلاً لأحد.. كان يتميز بأنه مثقف وذكى وصاحب خبرة واهتمام بالتاريخ .. ولا مجال لمقارنته بأى ضابط من الذين كانوا حول عبد الناصر ، فهو يتفوق عليهم جميعاً بقراءاته وبنشاطه السياسى . وهو دخل السياسة من باب العمل ضد الإنجليز .. وأن كانت تربيته العسكرية قد أدخلته فى دوامة العمل الإرهابى أو السرى وأحياناً المخابراتى ، فهو أشتغل بالسياسة ضد الإنجليز وحزبياً وبالمنشورات والاغتيالات وتعاوناً مع المخابرات الألمانية . هذا التعاون كان عملاً وطنياً صرفاً لأن كل المصريين وقتها كانوا يتمنون الخلاص من الاحتلال البريطانى على يد الألمان أو الحاج محمد هتلر كما كنا نسميه ، ونفس الشئ حدث فى الحرب العالمية الأولى . ثم انتقل الأمل الروسى وخاب فى كل مرة.

ومن هنا فعندما يتهم هيكل السادات أن تعاونه مع المخابرات الألمانية جعل منه عميلاً أو جاسوساً نازياً فهو فى الحقيقة يخدم الدعاية الإسرائيلية السوداء فى عداوتها للسادات بالذات . لأن حسن عزت وعزيز المصرى وبغدادى والحاج أمين الحسينى والشهيد مصطفى .. إلخ كلهم كانوا بطريقة ما يتعاونون أو يرجون مساعدة الألمان فى حربهم ضد الإنجليز.

السادات لم يتعلم السياسة بعد أن تربع فى قيادة مجلس الثورة كما فعل البعض خلافاً لوصية " تعلموا قبل أن تسودوا " أو كما علق أستاذ فرنسى على طلب وزير مصرى الالتحاق بالجامعة فى باريس فقال : عندنا يتخرجون ثم يصبحون وزراء وعندكم العكس !" بل تعلمها السادات فى الشارع وهو مطارد من البوليس وفى السجن

والمعتقل . والسادات عرف اتصال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية وعرف أنه قوة لا تقاوم ولا تحاور ولا يتفاهم معه أنه طاغية أن انتبه لك فتلك ! فاختار أن يبقى خارج التاريخ ، مثل خروشوف الذى كان يطلب منه ستالين كلما سكر أن يسليه وضيوفه بتقليد رقصة الدب ، فيرقص خروشوف ويضحك ستالين .. وهكذا عاش حتى ورثة فمحا أسمه عن التاريخ.

ابتعد السادات عن لعبة السلطة تماماً وأيد عبد الناصر ذهاباً وإياباً وطمأنه من ناحيته بالغرق فى الملذات والتنعم والعيش فى رفاهية من مخصصات الثورة إلى جانب مرتب ثابت من قطر واكراميات متتالية من الشيخ عبد الله المبارك مكنته من تلبيه مطالب أسره لم تكن أبداً لا على مستوى الرجل ولا مستوى الدور الذى شاءت الأقدار أن تعلبه فى تاريخ مصر.

وقد استوعب السادات تجربة عبد الناصر كثر من أى مصرى. وعرف مطاعنها وأسباب كوارثها ، ولم يكن يراوده أى أمل فى أن يرث عبد الناصر فهو أكبر منه سناً وهو لا يملك أى نفوذ لا فى الجيش ولا فى الأجهزة ولا فى الشارع بعد أن أشتهر بالبكباشى صح .. وتبذل فى الدفاع عن كل ما يرتكبه نظام عبد الناصر .

وفجأة بموت عبد الناصر ونجد أبرز الأسماء حول سريره هم: على صبرى وهيكل والسادات وحسن التهامى وسامى شرف.. ونحن لا نتوقف عند أمثال محمد فوزى (الفريق وهو غير المطلوب المشهور) وشعراوى جمعة.. فقد كانا وغيرها مجرد كومبارس .

حسن التهامى لا ينكر علاقته بالمخابرات الأمريكية ، وهو الذى تسلم الثلاثة ملايين دوراً نقداً التى تبرع بها البيت الأبيض من المصاريف السرية لكى يمشى بها عبد الناصر حاله ويحسن أجهزة الأمن . وعدها حسن التهامى ووجدها ناقصة مائة دولار .. ورفض عبد الناصر قبضها ولكنه أيضاً لم يستطع أعادتها . فبنى بها برج الجزيرة . وفى فترة تدهور العلاقة وبين ناصر والأمريكان تدروش حسن التهامى وأصبح يرى منامات معظمها يدور حول إكمال نصف دينه. فلما وقعت الهزيمة وأراد عبد الناصر مغازلة الأمريكان .. ولكن ..!.

لن نجيب عن هذا السؤال حتى يعرفنا أحد من هو جد علـــى صـــبرى بليـــغ ؟! نرجو ممن عنده علم الكتاب أن يعرفنا من هو والد بليغ أفندى وله منـــا الشـــكر ســـلفاً ونقداً.

المهم كان تنكيل عبد الناصر فى انتظار الثلاثة : هيكل وصـــبرى والســـادات . وإذا به يموت ويقولون اغتالوه.

إذا كان .. فإن أى تحقيق يجب أن يبدأ بهؤلاء الثلاثة ثم رجال الكى جى بـــى . إذا يبدو أن روسيا كانت مقتنعة أن وفاة عبد الناصر تعنى تولى على صبرى مرشـــحهم حتى إنهم دهشوا فى موسكو عندما أعلن انتخاب الســـادات. الـــذى اســـتطاع التهـــامى وآخرون من دونهم أن يستغلوا حكاية أنه النائب الأول وفرضوه ، وكـــان بـــلا جـــدال أفضل المرشحين وأجدرهم ولو من ناحية السن وتاريخ مجلس الثورة والرتبة.

ومن اليوم الأول عرف السادات أنه لا شرعية ولا استمرار فى الحكـــم إذا لـــم يحارب اليهود.. وأنه لا حرب فضلاً عن الانتصار لا إذا رممت الجسور مـــع الشـــعب أولاً وأيضاً مع الأمريكان .. وتبدأ بالثانية.

كان السادات يعلم من تجربة أن أكبر خطأ هو الدخول من سلم الخدم . حتى أنه لما دعوه للقاء سرى مع زعماء إسرائيل .. رفض قائلاً أنا لا أفعل مثل الملك حسن أنا أذهب فى زيارة رسمية لإسرائيل كان يعرف أن كارثة انقلاب يوليو هى قبـــول عبـــد الناصر التعامل السرى مع المخابرات الأمريكية ، ومهاجمة أمريكان علنا لتغطية هـــذه العلاقة ، مما مكن إسرائيل من تأليب الرأى العام الأمريكي ضده وتنصب نفسها الممثل الشرعى والوحيد لأمريكا فى الشرق الأوسط . يعكس المنطق وحفائق التاريخ والواقع . ولذلك كانت خطة السادات هى التحالف أو إن شئت التبعية العلنية للولايات المتحـــدة . وفرض محبته على الأمريكان بالقوة مزاحماً إسرائيل فى ذلك ، ومثيراً عليـــه حربهـــا الشعراء ، لأن أخطر ما كان يتهدد إسرائيل خلال الحرب البادرة هو أن يستطيع حـــاكم عربى قوى أن يقنع الشعب الأمريكى أن مصالح ليست مهددة فى الشـــرق الأوســـط إلا بسبب تحالفهم مع إسرائيل وليس أن إسرائيل هى التى تحمى هذه المصالح .

لم يكن السادات بحاجة إلى أشرطة المخابرات الأمريكية التى حملها إليه أشرف مروان صهر الزعيم الراح . لكن ينقلب على مجموعة على صبى وســـامى شـــرف .

ولكنه رحب بدون شك بكل الدعم الذى قدمته المخابرات الأمريكية لتصفيه هؤلاء . ولا تعتقد أن المخابرات الأمريكية تكتفى بالتبليغ والوشاية.

والسهولة التى تمت بها تصفية الانقلاب على يد ثلاثة : السادات وهيكل وضابط وبوليس وجاء من الإسكندرية وعاش ومات لم يترك وراءه أى أثر يدل على شخصيته وعلاقاته شأن رجل الأمن أو الاستخباراتى النموذجى قبل أن تتفشى مادة الاتجار بالمذكرات . هذا النجاح يعزز الظن بأن البركة كانت معهم وليس كما حاول هيكل أن يفسر انتصار السادات بعيادة المصريين للشرعية التى لم تنفع فاروق ولا السادات نفسه!.

أغلب الظن أن حركة التصحيح قد نجحت كما فعلت أمها حركة يوليو لأن يد السى أى أيه كانت فوق أيديهم . ولا يغير ذلك من حقيقة أن الذين أطيح بهم فى المرتين كانوا يستحقون الإعدام ويتمتعون بكراهية التحريم من الشعب وبعضهم كان عميلاً راهن على الحصان الخاسر.

وفى فى اعتقادى أن العلاقة الطبية التى قامت بين توماس التويتينى وإشراف الاسخريوطى . هى التى جعلت المخابرة الأمريكية تقرر دعمه عند السادات . وأيضاً إرسال إشارة للسادات أنها معه إذا أراد أن يجاهد مجموعة على صبرى . ولا شك أن هذه المجموعة كانت تتحدث ضد السادات وأن التسجيلات كانت فى مجموعها صحيحة. ولكنهم كانوا غير قادرين على تدبير فضلاً عن تنفيذ انقلاب ، ولا ندرى هل فعلاً كان تفكيرهم صبيانياً إلى حد التفكير فى أحدث فراغ دستورى أو إنها تشنيعه خبيئة من اختراع هيكل أو حتى التويتينى ! فراغ دستورى مين يا أولاد الكذا .. هو فى دستور أصلاً ؟! ولا تقول أن التسجيلات التى قدمتها الى أى أية هى التى أوغرت قلب السادات التى لم تكن به نقطة واحدة بيضاء من ناحيتهم أولاً أن الشرايط عززت مركز مروان عنده لاقتناعه بإخلاصه له ولو على حساب أهل البيت .. وإنما تعزز مركز مروان لأن السادات فهم الإشارة وعرف أن هذا هو حلقة الوصل أو التوصيلة كما سماء مؤلف الكتاب . بادر السادات وحمل الفتى أو الطفل المعجزة كما كان المصريون يسمونه ، على كتفه وطاف يلتقط كل من يحمل تهمة العمالة للمخابرات أو صدر له تصريح ضد السوفييت يتودد به عند الأمريكان.

وقد قبل الكثير حول أسباب إخراج السادات للسوفيت ، ولكن لم أقرأ شيئاً من أسباب قبول الرؤوس الخروج بهذه السهولة . وقد كان لهم فى مصر أكثر من سبعين ألف جندى.

ولا شك أن السادات عند طلب من الروس الرحيل ، قد قام بإجراء وطنى لا يقل عن إخراج عبد الناص الإنجليز، ولا شك أنه لو استمر الرؤوس فى مصر لم وقعت حرب أ:تور ، فقد كان وجودها يعطيهم الحق فى اتخاذ قرار الحرب .. والروس لم يكونوا ليوافقوا على الحرب بأى حال م الأحوال بعدن بدأت رحلة الوفاق على يد نيكسون و كسينجر ، ولن نقف طويلاً عند ساقط القول الذى يعتب على السادات أنه أخرج الروس بدون مقابل، وكان يجدر به أن يساوم الأمريكان على عرض مصر فيقول لهم تدفعوا كام و اطلع الروس؟!! هذا قول عملاء اعتادوا أن يقبضوا ثمن كل شئ حتى اسقلال الوطن ....

ولكن السؤال هو : لماذا قبل الروس الخروج؟

اعتقد أنها تسوية تمت فى القمة بين واشنطن وموسكو – تخرج بها روسياً من مصر مقابل إطلاق يدها فى ليبيا – فتريح كل الأطراف – ليبيا تحصل على الدولار من الشركات الأمريكية فتشترى به السلاح من روسيا ، لا لتحارب به إسرائيل وتجر موسكو لصدام لا تريده مع أمريكا ، بل تحارب به تشاد ... أو مصر.... و ليبيا تدفع نقداً بالدولار الذى تعود روسيا فتشترى به القمح الأمريكى ، وخد من قرنه وأدهن له.. أما مصر فتدفع بيانات وعدم انحيازاً أو يبيع الجدك بتأجير القواعد وإعطاء التسهيلات ، وكل هذا فقد قيمته مع مرحلة الوفاق أو الضباط كما سماها السادات.

وهكذا صدرت الأوامر فإذا بالنظام الليبى الذى بدأ أشد النظم عداوة للروس ينقلب مائة وثمانين درجة ليصب قاعدة الروس الأولى فى العالم العربى .. وفى مصر يختار السادات وزير الخارجية دبلوماسياً أهم مسوغات تعيينه تصريح له ضد الروس ، ويتألق لتهامى . ويعود هيكل لينظر ويحلل.!! و يبدأ السادات الخطوات الأولى فى رحلة الألف ميل لحرب أكتوبر ثم المبادرة فصدور قرار إعدامه وبالذات فى 6 أكتوبر.